

جهود بواكير علماء منطقة الأوراس في نشر التعليم
والفكر الاصلاحى بمنطقةهم مطلع القرن العشرين
الميلادى

محمد مجدادى
استاذ التاريخ المعاصر والحديث
قسم التاريخ
جامعة باجى مختار عنابة

ملخص

تستعرض هذه الدراسة ظاهرة ثقافية عرفت لها منطقة الأوراس تتمثل في ظهور تجارب باكرة لشخصيات قامت بأداء أدوار تعليمية واجتماعية على نحو اصلاحي وتجديدي هدفت الى تصحيح وتقويم اوضاع مجتمعهم الغارقة في التخلف والجهل والخرافة . جعل من فترة ظهورهم السابقة لمرحلة نضج الحركة الاصلاحية في الجزائر حالة متميزة وجب الوقوف عندها لإظهار هذه الحقيقة التاريخية ومعرفة وصولها واثرها خاصة فيما تعلق في تهيئة البيئة الاوراسية لاستقبال الفكرة الاصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بذلك الانتشار الواسع والمدة القياسية ، بهذه البيئة ذات الشروط الاجتماعية والثقافية التي كانت أبعد ما تكون عن هذه النتيجة .

عرفت أحوار منطقة الأوراس _ رغم طابعها المغلق مع الفضاءات الأخرى من القطر الجزائري أو حتى البلاد الإسلامية _ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن 20م، هجرات طلابية محدودة جدا نحو معاهد و جامعات العالم الإسلامي وعلى رأسها جامع الزيتونة والأزهر الشريف، بدافع الرغبة في المزيد من التحصيل العلمي والتبحر في العلوم الدينية، وهذا غالبا بعد حصولهم على تعليم أولي وابتدائي في الكتاتيب والزوايا القريبة من مسقط رأسهم .

إن انتقالهم إلى هذه الأوساط الثقافية والاجتماعية الجديدة في هذه الفترة سمح لهم بالاستفادة من فرصة الاحتكاك المبكر بالبيئات الإصلاحية ، حيث كانت هذه المعاهد تتمتع بوسط متفتح على الأفكار المختلفة وذي مستوى ثقافي لا بأس به ، كما أنها تتمتع بسمعة علمية طيبة ويرجع ذلك لما ضمته من أساتذة ومشايخ لهم من العلم والمعرفة ما يستطيعون به إنارة عقول طلبتهم وتنمية قدراتهم و معارفهم ،متجاوزين تعليم مدارس الزوايا المتواضع ذي المحتوى الصوفي الغارق في الغيبات والخرافة.

كما ساعد تزامن وجود بعضهم بهذه المعاهد مع فورة الفكرة الإصلاحية الجديدة التي بشر بها جمال الدين الأفغاني ⁽¹⁾ بمعية تلميذه محمد عبده ⁽²⁾ ، و التي تأثر بها وناصرها الكثير من المشايخ وأساتذة الأزهر والزيتونة ، فأصبحت بذلك أكبر المعاهد العلمية

الإسلامية تردد الأصداء الإصلاحية من خلال مناقشة الإشكالات التي تعالج التجديد والاجتهاد وتبجيل العقل والتفكير والدعوة إلى النظر في واقع الأمة وسبل تصحيح العقائد والدين من شوائب التصوف الخاطئي.

وإن بقيت في هذه الجوامع رواسب من العلم التقليدي و الصوفي لدى بعض المشايخ والأساتذة إلا أن مستواهم العلمي ، لم يكن لينزل بهم إلى الاعتقادات الخرافية و البدعية الصارخة للطرقية الفاسدة المتفشية في أوساط العامة وعند أغلب مشايخ الزوايا .

وأيضا كان للحراك الفكري الذي أوجدته النقاشات الفكرية والاحتكاكات بين إسلام النهضة و إسلام التقليد إلى تنازل أصحاب هذا الأخير على الكثير من الصوفيات الغارقة في الميتافيزيقا. مهاديننا عصر العقل الديكارتي و النظرية الحتمية التي طبعت التفكير العلمي والتي وصلت حتى المجامع العلمية في الشرق.

ومما لاشك فيه أيضا أن الوسط الاجتماعي الذي تواجد فيه هؤلاء الطلبة أثناء دراستهم، كان له دور في تكوينهم ، فالمعاهد الإسلامية التي قصدوها كانت تتواجد بمجتمعات حضارية وعريقة حافظت على مكانتها العلمية والحضارية من الفترة الإسلامية ، كما جددت مكانتها في العصر الحديث بفضل جهود العصرية والتحديث التي جاءت بها إصلاحات الحكام كإصلاحات محمد

علي باشا ⁽³⁾ بالنسبة لمصر ⁽⁴⁾ وإصلاحات الوزير خير الدين باشا ⁽⁵⁾ في تونس ⁽⁶⁾.

كل هذه الشروط الثقافية والاجتماعية التي عاش فيها الطلبة الأوراسيين حياتهم التعليمية بدون شك قد أثرت في تكوين شخصيتهم العلمية والاجتماعية ورسمت لهم أفقا واسعة سمحت لهم بالقيام بأدوار إصلاحية وتصحيحية لواقع مجتمعاتهم المغتربة عن زمانها.

وان كنا لا نستطيع أن نجزم أن كل الوافدين من هؤلاء إلى إقاماتهم بمنطقة الأوراس قد تبناوا الفكرة الإصلاحية، إلا أن العوامل السابقة بلا ريب تجعل من خدماتهم التعليمية وما يلازمها دائما من أدوار اجتماعية ودينية، نافعة إلى حد يرفعها إلى مقام الإصلاح، ومن هؤلاء الذين كانت لهم محاولات إصلاحية نذكر سي الهاشمي بن علي دردور وعبد القادر المدوكالي والشيخ حمو بن أحمد شريف و سي بالقاسم عثمان الفرحي و سي الجموري .

أ - الشيخ سي الهاشمي بن علي دردور :

حفظ القرآن في الثانية عشر من عمره في كتاب زاوية مسقط رأسه مدرونة ثم حصل على مبادئ العلوم الدينية والنحوية والصرفية على يد أهم المشايخ في أشهر زوايا العلم القريبة من بلدته كالشيخ بن عزوز بزاوية طولقة والشيخ عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي ثم زاوية بوحجر بقالة ⁽⁷⁾.

وعند شبابه وبنصيحة من شيخه بن عزوز توجه إلى مصر لمواصلة رحلته في طلب العلم التي قضى فيها حوالي 20 سنة ، وإن لم يقتصر خلال هذه المدة على التعلم فقط بل أخذ تجربة الرحلة و الأسفار، فكانت رحلته التي رافق فيها أبيه سي علي سنة 1850م أثناء لقاءه بمصر في طريقه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وايضا رحلاته التي قادته إلى الكثير من المناطق المصرية كالإسكندرية والقاهرة وإن كانت توجهه في رحلاته هته الرغبة في التزود والتحصيل العلمي بالسعي للاستماع و الأخذ عن علماء سمع عنهم .

وقد كانت أهم هذه الرحلات وأغناها فائدة تلك الرحلة التي قصد فيها ليبيا ، فقد حصل أن تردد على ليبيا للاتصال بالشيخ السنوسي⁽⁸⁾ الذي أخذ عنه تعاليم الطريقة السنوسية ، ولعله يكون منحه إجازة في العلم مثل ما فعل مع كثير من الجزائريين⁽⁹⁾ . هذه التجربة الطويلة وبلا شك الخصبة في مجال التعلم والرحلة و الأسفار سمحت له بالحصول على مستوى علمي وثقافي واجتماعي قيم ، ساهم في إثراء عقله وتوسع مداركه ، وهو ما سوف يؤسس لمنطقاته وأفكاره التي سوف توجه مشروعه الإصلاحية الذي اضطلع به بعد عودته إلى بلاده عام 1870م .

باشر سي الهاشمي خلفه أبيه سي علي على رأس الزاوية الدردورية التابعة للطريقة الرحمانية عام 1875م ، فكانت بدايته

باستحداث طريقة الأحباب⁽¹⁰⁾ سنة 1876م⁽¹¹⁾ التي سهر في نشر تعاليمها على مرّيه إذ كانت دعوته إلى التعليم أول اهتمامه، لذلك سخر جهودا كبيرة لنشر التعليم كتحفيز القرآن للصبيان والتصدي لتعليم المبادئ الدينية والفقهية للكبار والقيام بالوعظ والإرشاد من خلال الحلقات المسجدية ، فلقد كانت دروسه تستهدف استقامة وإصلاح سلوك مرّيه طريقته ومعالجة الأمراض الاجتماعية المتكلسة في واقعهم بلغة عامية قريبة منهم، كأن يلخص استشهاده من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية في أمثلة أو أقوال شعبية من صنعه ، وتأليفه لقصائد شعرية كقصائد المبشرات⁽¹²⁾ والتي تضمنت موضوعات في التربية والأخلاق والسيرة النبوية ليقوم بتلقينها وتحفيظها للامة من الرجال والنساء لتكون عوناً لهم في توجيه سلوكهم و السمو به نحو الفضيلة.

لقد كان الشيخ بهذه الطريقة تعليمية يجاري الواقع الذي وجد عليه أهل بلده من جهل وصعوبة في التعلم بالطرق النظامية فاستأنس بما كان يراه يسيروسهل عليهم من طريقة في التعلم ، فلا شك ان سي الهاشمي قد قدر صعوبة وغرابة اللغة الفصحى على مجتمع لم تسمح ظروفهم بتعلمها والتعود عليها ، وسهولة وقرب اللغة العامية وأثرها عليهم خاصة في شكل القصيدة أو المثل .

بهذه الخطة التي اهتدى اليها الشيخ استطاع تحقيق الكثير من أهدافه فأصبحت أفكاره تحفظ وتتناقل وتبلغ أثرها في سلوكهم بالإضافة التي تناقلها بين الناس وإلى أوسع نطاق في المجتمع .

وبالموازاة مع دوره التعليمي كان يقوم بدور المربي الاجتماعي . وإن كنا لا نستطيع فصل دوره التعليمي والتربوي على دوره الاجتماعي لإصلاح الواقع، فكان توجيهه في ذلك مستندا إلى قيم الدين الإسلامي بما جاء في الكتاب والسنة ، كالدعوة إلى العمل بأن يحثهم على خدمة الأرض وفلاحتها وتربية الماشية قائلا: "كل حبة تثبت في مكان الحجارة أو الشوك الذي تنزعه لك فيه حسنة." (13)

، وكان يقوم بهذه الأعمال التي يدعوا لها ليكون قدوة حسنة لهم . كما عرف عليه أنه كان يتوجه للنساء بالنصح والحث على الاشتغال بصناعة الصوف والغزل والنسيج لتوفير حاجات العائلة من لباس وأغطية و أفرشة ، ودعا أيضا الرجال إلى اكتساب الحرف وتعلم المهن قائلا لهم : "الصناعة في اليد أمان من الفقر." (14) ، وكان يرى في الخلوة التي تتميز بها التعاليم الرحمانية كعبادة تقربهم إلى الله مخالفة للدين وهدر لوقت المسلم فقام بالنهي عنها ومحاربتها معتبرا أن أسمى العبادات إلى الله هو العمل الذي يخدم المجتمع.

وبهذا التشجيع على العمل يكون قد أدرك الأهمية الدينية والاجتماعية له للخروج من دائرة الحاجة والوصول إلى حالة

الكفاية والوفرة. وهذا بفضل تحويل أفراد المجتمع إلى منتجين لما يستهلكون.

وقام أيضا بإستهداف وتفعيل عادات التضامن والتعاون الموجودة في المجتمع الأوراسي فسهر على إصلاح ذات البين وزرع المحبة والألفة بين أفراد المجتمع من خلال دروسه الوعظية فقرب بذلك بين العشائر والقبائل المختلفة المكونة للمجتمع الاوراسي .

ومن جهة أخرى قام الشيخ بدعوة الموفورين إلى مساعدة المعوزين بتسليفهم وسائل الإنتاج كالأرض أو الحيوان و استعادتها بعد مجيء الإنتاج وأعطى لعادة التوزيع دورا فعالا في إنجاز الأعمال، فكان يحرض مريديه على القيام بأعمال الفلاحة من حرث وبذر وحصاد بالتعاون، والقيام بها في أراضي العجزة والنساء الأرامل بدون مقابل والمساهمة في بناء المساكن للمعوزين جهدا ومالا.

كما نظر في تنظيم شعير الزكاة على نحو اقتصادي يضمن الأمن الغذائي وخاصة للمعوزين في الفترات البعيدة عن الحصاد بعد نفاذ المخزونات والاحتياطي من الحبوب، فأنشاء مراكز لجمع الزكاة من الحبوب في كل قرية وعند نفاذ احتياط العائلات الفقيرة يقوم بتوزيعها عليهم ،بل بلغ مقصد هذه النظرة إلى تجاوز ازمات نفاذ المؤونة من محاصيل الحبوب في فصل الجفاف.

فضلا عن هذا مارس سي الهاشمي مهنة التطبيب مستندا في جهده هذا إلى الطب النبوي كإستعمال الرقية الشرعية والأعشاب الطبية وحارب الطب الخرافي والشعوذة كاستعمال التماائم و الحروز ، وعرف عنه أنه كان لما يجد شخصا يتخذ تميمة يقوم بنزعها له ودفنها في التراب، كما دعا إلى الوقاية من الأمراض كقوله: " كل قلة واشرب قلة تنجو من العلة " .

بهذا الجهد المركب مثل الشيخ سي الهاشمي بن علي دردور حالة اصلاحية محلية في منطقة الاوراس ،سوف تساهم في وثبة هذا المجتمع وتحسين اوضاعه المادية والمعنوية الى حد ما ، وهو مايمكن ان نعتبر ان هذه التجربة كانت محطة تزود منها المجتمع الاوراسي بمقومات ساهمت في التصدي لعوامل انهياره التي كانت تتخره بفعل الظروف والسياسات الاستعمارية ، فإم تلك من خلالها ملكة الوعي بالخيروالصلاح ، والتوق الى حياة افضل .

ب - الشيخ عبد القادر المدوكالي :

من مواليد 1841م بمدوكال. أخذ مبادئ العلم الأولى بمسقط رأسه وبعد بناء قاعدة علمية توجه للدراسة بالزيتونة بتونس، ثم انتقل إلى جامع الأزهر الشريف وبعد سنين قضائها في التحصيل العلمي عاد إلى مسقط رأسه، أين باشر مهامه التعليمية في العديد من مناطق الجهة منها التعليم بمشتى ملاح بدوار لمسيل ثم انتقل للتدريس بمسجد زاوية محمد بن عبد الكريم بدوار

الرحبات في الفترة حوالي 1890 م ومنها توجه إلى مدو كال فبركة ثم قصر الطير⁽¹⁵⁾ إن مروره بكل هذه المناطق وفي مدة قصيرة ، وعدم وقوع اختياره للاستقرار في أي منهم ليدل على قلق وعدم ارتياحه لأوساطها ، إذ لم تكن هذه المناطق تتوفر على ما يكفي من التقاليد الثقافية إلا تلك التقاليد البسيطة والمحدودة في تحفيظ القرآن، وبذلك لم تكن إمكانيات الشيخ الثقافية تتلائم مع الوسط الثقافي في هذه المناطق مما أشعره بالعزلة والغربة الفكرية بسبب الجهل و الأمية المتفشيتين في الوسط الأهلي بفعل سياسة التجهيل المعتمدة من الإدارة الاستعمارية وأيضا ضعف التعليم التقليدي الذي كانت تقدمه الزوايا وبعض الكتاتيب مما استدعى هجرته إلى قسنطينة⁽¹⁶⁾ ، باحثا عن وسط ثقافي أرحب ومناخ تعليمي أصح لأداء رسالته و ملائم لإمكانياته الثقافية والعلمية، وإن كانت هذه الهجرة سوف تمنع أبناء وسكان هذه المناطق من الاستفادة المباشرة إلا أنها كانت يمكن أن تساهم في ربط هذه المناطق المغلقة على نفسها بحاضرة قسنطينة من خلال لفت أنظار الشباب إليها عن طريق النصح منه أو إقتداء وتأثرا به ومحاولة اللحاق به، وبذلك تخلق مسلكا جديدا مع بيئة منفتحة يجعلها تستفيد من التأثيرات الجديدة التي تساهم في حقنها بأفكار التجديد والإصلاح .

وفي سنة 1911 م هاجر الشيخ إلى مكة ومنها إلى سوريا أين توفي بعاصمتها دمشق سنة 1936 م⁽¹⁷⁾، ورغم جهوده التعليمية في العديد من الأماكن التي استعرضناها، إلا أن هجرته هذه المرة وإلى خارج الوطن حرمت المنطقة من الاستفادة من جهوده الإصلاحية، وان سكنت الروايات المكتوبة والشفوية المحلية عن دوره الإصلاحي، إلا أننا نرجح نزعته الإصلاحية فهجرته عام 1911م قد تكون بسبب المضايقات الاستعمارية التي تعرض لها علماء الجزائر بسبب ما شكلوه من خطورة على مصالح الاستعمار كما أن اختياره مكة كمحطة لهجرته قد يكون بدافع ميله للفكرة السلفية وتأثره بالحركة الإصلاحية الوهابية والتي تعتبر مكة بيئتها وموطنها، ثم انتقاله إلى سوريا واستقراره بها قد يعود لتأثره بحركة جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية لذلك كان اختياره بلاد عربية وإسلامية غير مستعمرة حتى هذه الفترة، ونحن نغلب الرأي الأخير وما يعزز رأينا على نزعته الإصلاحية هو قيام جمعية العلماء في الجزائر بنعيه في جريدتها البصائر⁽¹⁸⁾ باعتباره جندياً من جنود الإصلاح تضعه في خندق واحد معها، وبما أن أغلب القرائن تثبت لنا نزعته الإصلاحية، فإنه أثناء تواجده بالمنطقة وكعادة المعلمين يكون قد أدى أدوار اجتماعية ودينية من خلالها عالج الكثير من رواسب الجهل والبدع التي التصقت بالدين بهدف توجيهها نحو الدين الصحيح، كما قد

يكون ساهم في ترك ثلة من التلاميذ الذين ساهموا بعده في مسيرة التعليم بالمنطقة.

ج - الشيخ حمو بن أحمد شريف :

الشيخ حمو بن أحمد شريف من مواليد 1866 م بدوار الرحبات بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه أين حفظ القرآن الكريم بالكتاب ثم أخذ المبادئ الأولية في الفقه والنحو واللغة ، وبعد أن استقام عوده عزم على الرحيل إلى جامع الزيتونة و به قضى فترة الدراسة المقررة محققا بذلك الهدف الذي ذهب من اجله، و عاد بعدها إلى منطقته ليباشر جهوده التعليمية وما يلزمها من أعمال اجتماعية كإصلاح ذات البين وحل الخصومات وقضايا العرش الأخرى بالإضافة إلى دوره الديني كالفتوى وتقسيم التركة على الورثة وقد كانت له دروس مسجدية في التوحيد كان من خلالها يحارب مظاهر الشرك عند العامة ويصحح اعتقاداتهم ويحثهم على أداء الواجبات الدينية ويصحح للعامة تقصيرهم في أداء بعض الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم .

وكان يتخذ من جامع مرابط الصديق مدرسة لتعليم الطلبة وقد كان له مردود معتبر من نشاطه التعليمي حيث تخرج على يده العديد من الطلبة الذين واصلوا مسيرته في نشر العلم⁽¹⁹⁾

د - الشيخ سي بلقاسم الفرحي :

سي بلقاسم بن عثمان الفرحي من مواليد حوالي سنة 1880 م بدوار عين زعطوط التابع للبلدية المختلطة عين التوتة ، أين تقطن قبائل بني فرح ، أخذ المبادئ الأولى في التعليم على يد كبار شيوخ المنطقة ثم انتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته ، ورغم القرب الجغرافي لبني فرح من زوايا التعليم بطولقة وخنقة سيدي ناجي الموجودة في الجنوب والتي ميزت سير البعثات التعليمية لأبناء الأوراس حتى هذه الفترة إلا أن سي بلقاسم عثمان حقق الاستثناء في توجهه إلى مدينة قسنطينة ، ونوعز هذا إلى كون عائلته قد أرسلته إلى أحد أقاربها من العائلات الفرحية التي هاجرت إلى قسنطينة واستقرت بها في العمل بالحمامات في بداية الاحتلال⁽²⁰⁾ ، فتوفر الإقامة له عند أحد أقاربه كان له الدافع في قصده قسنطينة وخاصة أن سي بلقاسم ضرير يحتاج إلى عناية قد لا تتوفر في إقامات الزوايا ، وأثناء دراسته بقسنطينة زامل ا بن باديس فيكون قد خضع للظروف التعليمية نفسها والتي ساهمت في توجيه أفكار بن باديس نحو الإصلاح ، كأن يكون قد تلقى الدراسة على يد أهم المشايخ ومعلمي قسنطينة الذين تلقى على يدهم ا بن باديس العلم مثل الشيخ حمدان لوني⁽²¹⁾ الذي كان يعمل أستاذا بالمدرسة الرسمية الفرنسية الإسلامية بالكثانية. (Ecole franco-musulman)⁽²²⁾ والذي تميز بإخلاصه في نصح وتوجيه تلاميذه كما قد ساعدته الأجواء

العلمية والثقافية التي كانت سائدة بمدينة قسنطينة، حيث ظهر العديد من المشايخ بمساجدها تميزوا بأفكار متتورة وعلم وافر، وشهرة استقطبت تلاميذ المدارس إلى حلقات دروسهم وهو واحد منهم، بالإضافة إلى دور نادي صالح باي الذي كان ابن الموهوب و هو أحد رواد النهضة الفكرية والثقافية والمعروف بتوجهه الإصلاحي الذي يعد أحد مؤسسيه ومنشطيه ⁽²³⁾ مما ساهم في تحريك الجو الثقافي للجماعة الأهلية المسلمة و أثرى جهود الكثير من المشايخ الذين نشطوا فيه والذين استطاعوا أن يجعلوا من مدينة قسنطينة منطقة إشعاع إصلاحي، كما لا نستبعد مساهمة مزاملته لابن باديس في الاستفادة منه ومن أفكاره الإصلاحية المبكرة ورفضه الكثير من الخرافات والبدع التي ألصقت بالدين، وبذلك تكون فترة دراسة سي بلقاسم عثمان بقسنطينة قد كونته علميا ورسمت له توجهه الإصلاحي.

وبعد استكمال الدراسة بقسنطينة بمدرسة الكتانية عاد إلى بلده أين بدأ في مباشرة التعليم بمسجد آل عبد الكريم وهو مسجد تابع للمرابط سي الأخضر الولي الذي كانت العامة تعتقد أنه تجري على يده الكثير من الكرامات كشفاء المرضى بطريقة عجائبية وإكثار الطعام وتكليمه الحيوان ولذلك كان مقصدا للناس من كل جهة في موسم الحضرة التي يقيمها للاستماع إلى البشارة التي سوف تكون عليها السنة القادمة ⁽²⁴⁾، وعلى الرغم من

تواجد سي بالقاسم في أحضان هذا الم رابط الموغل في الخرافة، إلا أنه كان يقدم دروسه في مدرسة مسجده في مواد الفقه والنحو والشريعة الإسلامية والتوحيد⁽²⁵⁾ على نحو إصلاحي، مخالفا الاعتقادات الم رابطية، وبقي احترام الم رابط سي الأخضر كبيرا لسي بالقاسم، ونرجح أن يكون الم رابط سي الأخضر جاهلا لذلك لم يكن يفهم ما يدور في دروس معلم مدرسته من خطورة على مصالحه.

هذه الدروس التي كان يقدمها سي بلقاسم نال من خلالها شهرة كبيرة في كل الأوراس وحتى قسنطينة⁽²⁶⁾، فجلبت إليه العديد من الطلبة من كل أنحاء المنطقة وتخرج على يده العديد منهم والذين حافظوا على التوجيه الإصلاحي له، وإن كنا نرجح أن دوره اقتصر على التعليم فقط، لأن الأدوار الاجتماعية والدينية التي كانت تلازم دائما المعلم في هذه المناطق قد احتكرها واستأثر بها الم رابط سي الأخضر لما له من مكانة اجتماعية وسطوة على العامة، إلا أن جهوده التعليمية و الدينية التي استهدفت تنقية العقيدة مما علق بها من خرافات وبدع خاصة لدى فئة طلبته الشباب والتي سوف تساهم في إنارة عقول هؤلاء على نحو تتراجع فيه سذاجة الاعتقادات الم رابطية على الرغم من الحاجة إلى تراكم جهوده عبر الأجيال من خلال ترك خليفة له يواصل عمله، لأن هذه

التجربة لسي بلقاسم عرفت هذه الصعوبة والتحدى بوفاته المبكرة عام 1916 م ⁽²⁷⁾ وعدم ترك من يخلف أثره في جهده الإصلاحى .

هـ - الشيخ سي الجموري:

سي الجموري بن سي محمد العايش ينحدر أصله من منطقة جمورة من قبيلة أولاد زيان العربية المتواجدة بالتخوم الجنوبية للأوراس تلقى دراسته الأولى بهذه بالمنطقة ثم توجه إلى مصر للدراسة بجامع الأزهر الشريف ولما عاد التحق بزاوية تبر ماسين ليؤدى دوره التعليمي فيها الذي باشره حوالي سنة 1923 م ⁽²⁸⁾ ليستغرق مدة عشر سنوات أهله لأن يكون قطبها الفكري.

كان يعلم مجانا ولا يتقاضى أجرا ، لأنه يعتبر التعليم واجب ديني عليه نحو أبناء أمته ، كما لا يمكن أن ننكر فضل سيدي الغزالي صاحب الزاوية عليه الذي وفر له كل الظروف الملائمة للتفرغ لواجبه التعليمي . وكان يلتحق به بمدرسة الزاوية حوالي 20 طالبا لحفظ القرآن وأخذ دروس أولية؛ بينما كان سي الجموري يتحلق به تلاميذ ما بين 08 إلى 10 ⁽²⁹⁾ يعطيهم تعليما خاصا ، وقد يكون اصطفاهم ممن رأى فيهم النباهة والذكاء والاستقامة الفطرية ، أو قد تكون البقية من التلاميذ صغار السن الذين لا تأهلهم مداركهم العقلية للاستفادة من دروسه.

وكانت دروسه تتضمن مواد في مبادئ الفقه والعقيدة والشريعة الإسلامية والنحو العربي وفي الحقيقة تعتبر جهود سي الجموري رغم انطلاقها من معقل مرابطي وتحت إشراف طرقي إلا أن تعليمه ودعوته كانت إصلاحية، حيث كانت دروسه ومواعظه تهدف إلى العودة بالناس إلى العقيدة الصحيحة والنقاء الأول للدين الحنيف ومحاولة القضاء على الأفكار ذات التأثير المراتبي التي لا تتوافق مع النص القرآني والسنة النبوية الشريفة إلا أن هذه الجهود التي كان يقدمها هذا الإصلاحي، لدى الجمهور العامي في الأخير لا تخدم إلا المراتبية، من خلال زيادة مصداقيتها، اعتقاداً من العامة أن كل ما تحتويه الزاوية وما يصدر منها يعود الفضل فيه إلى صاحبها سي الغزالي؛ إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل الأثر الذي يتركه على عقول تلاميذه من تنوير نتيجة عمل عشر سنوات التي مكثها في هذه الزاوية بين الشباب، إنها مدة كافية لتخلص الشباب من أفكار الشيوخ ذات التأثير المراتبي وبأن تدفعهم نحو الأفكار الجديدة. وبذلك يمكن أن نصل إلى حقيقة أن سي الجموري صاحب التعليم الأزهري قد ساهم في وضع اللبنة الأولى للفكرة الإصلاحية في بيئة جد مرابطية، وهو بذلك يزامن الأوراس مع اللحظة التاريخية التي يعرفها كل الوطن من انتشار وتبلور الفكرة والنهضة الإصلاحية وتهيئة المؤسسات و المجتمع الأوراسي إلى استقبال المشروع الإصلاحي.

كان مرور مثل هذه الحالات من الشخصيات الثقافية وظهورها في منطقة كالاوراس في تلك الفترة بما تتميز به هذه البيئة من انغلاق راعته طبيعة بناءها الاجتماعي تقاليد القبيلة وقوانينها الصارمة وسلطتها الحاسمة وحتى طبيعة جغرافيتها الجبلية التي تعد حصن منيع لدخول الافكار والأشياء الجديد ، مفارقة حققت من خلالها هذه المنطقة في ما بعد الكثير من الاستثناءات التي تميزت بها عن مناطق عديدة شبيهة بها في تركيبة بناءها القبلي والريفي والجغرافي وحتى شروطها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الاخرى التي كانت لا تسمع بتبني أو ظهور لافكار تجديدية تعرف فقط في الاوساط المدنية المتفتحة .

وبذلك استطاعت جهود هذه التجارب وبتراكمها ان تساهم في تهيئة الظروف الثقافية لاستقبال منطقة الاوراس للفكرة الاصلاحية التي طالما أكدت الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجية استبعاد قبولها في مثل شروط البيئات الريفية كالاوراس ، بل استطاعت هذه الافكار ان تحقق تقدما من حيث الانتشار والتوسع بشكل حير عديد الباحثين الانتروبولوجيين الذين وقفوا على هذه الظاهرة بالمعينة في لحظتها وعلى رأسها الباحثة فاني كولونا .

الهوامش

- 1 _ جمال الدين الأفغاني (1838 - 1897 م) من كبار دعاة الإصلاح في أواخر القرن 19 م وصاحب فكرة الجامعة الإسلامية ناهض بفكرته هذه الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد الإسلامية.
- 2 _ محمد عبده (1842 - 1905م) مصري تلميذ وزميل الأفغاني في دعوته الإصلاحية تتلمذت عليه باقي الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالمين العربي والإسلامي ونهلت من فكره وفلسفته الإصلاحية
- 3 _ محمد علي باشا (1769 - 1848م) ألباني الأصل تولى حكم مصر بعد طرد الحملة الفرنسية سنة 1805 واستمر حكمه حتى وفاته سنة 1848 تميز بإصلاحاته الشاملة للدولة ولهذا يعتبر باني دولة مصر الحديثة
- 4 - توفيق ، حامد المرعشلي : صفحات في تاريخ مصر ، شركة ماهية مصرية ، مطبعة مصر ، 1929 ، ص109.
- 5 _ خير الدين باشا التونسي : تولى منصب الوزارة في تونس عهد الدايات جاء بإصلاحات هدف من وراءها تحديث تونس ورغم عمره القصير في هذا المنصب إلا ان جهوده بقيت لها أثارها خاصة على المستوى التعليمي والثقافي .
- 6 - محمد الهادي ، شريف : تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجبية ، ط3 ، دار سراس للنشر تونس ، 1993 ، ص99.
- 7 _ محمود ، الواعي : حياة الشيخ الهاشمي بن علي دردور ، من كتاب تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من (1837 - 1954 م) ، دار الشهاب باتنة ، ص204.
- 8 - السنوسي هو محمد بن علي السنوسي من أصل جزائري أسس الطريقة السنوسية دعى إلى مناهضة ومجاهدة الاستعمار وإخراجه من ديار الإسلام واستقر بليبيا في آخر المطاف.

- 9 - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافى (1830_1954)، ج 7 ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ص60.
- 10 - طريقة الأحباب طريقة أسسها سى الهاشمى بن علي دردور سنة 1876 ونعتبرها تجديد للطريقة الرحمانية وامتداد لها ونميل نحن أن تكون هذه الطريقة توليفة بين تعاليم السنوسية وتعاليم الرحمانية وإضافات أخرى من إنتاج سى الهاشمى المؤسس.
- 11 - محمود الواعى : المرجع السابق ، ص205.
- 12 - قصائد الميشرات ينسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله تأليفها إلى مجهول وإن كان يحصرها في منطقة الأوراس ويغلب الشك في أن تكون لأحد شيوخ زاوية الصادق بالحاج إلا أنها معروف ومشهور عليها عند سكان المنطقة نسبتها إلى الشيخ الهاشمى بن علي دردور ، راجع تاريخ الجزائر الثقافى ، ج7، مرجع سابق ، ص130.
- 13 - محمود الواعى : المرجع السابق ، ص206.
- 14 - المرجع نفسه ، ص207.
- 15 - وفاة عالم جزائري بدمشق ، جريدة البصائر ، السنة الأولى ، العدد 18 ، يوم 08 ماي 1936 ، ص143.
- 16 - المصدر نفسه : ص143.
- 17 - المصدر نفسه ، ص 143.
- 18 - انظر المصدر نفسه ، ص143.
- 19 - عبد الحميد ، غنام : الشيخ سالم الغنامى السلامى الاوراسى ومعاصروه في المنطقة ، مراجعة وتقديم فيلالى مختار، مجلة التراث ، تصدر عن جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس ، العدد 09 ، نوفمبر 1997 ، ص 119.
- 20 - Henri , Busson :les vallées de l'Aurès ,Annales de géographie, vol9, n°43,année1900,p50.
- 21 - حمدان لونيسى : (1856-1930) قسنطينى المولد والنشأة وتعلم وعلم بها ويعد من أهم من خدموا الحركة التعليمية في الفترة الاستعمارية تعرض لمضايقات كبيرة في واجبه هذا مما اضطره إلى الهجرة الاستانة ومنها إلى المدينة المنورة ومواصلا فيها مهنة التدريس ، ارجع محمد المهدي بن شعيب :تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر ، مطبعة البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 1980 ص318 .

- 22 - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 193.
- 23 - أحمد صاري : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 2004 ، ص 19.
- 24 - فاني ، كولونا : مثقفو في الاطراف من كتاب الانتلجنسيا في المغرب العربي ، اشراف عبد القادر جفلول ، ط 1 ، دار الحداثة للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1984 ، ص 262.
- 25 - المرجع نفسه ، ص 285.
- 26 - المرجع نفسه ، ص 257.
- 27 - المرجع نفسه ، ص 250.
- 28 - المرجع نفسه ، ص 268.
- 29 - المرجع نفسه ، ص 269.